(الالتزام ... و غواية الدنيا!)

الالتزام ...و غواية الدنيا ! -١

عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - قال :

جعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الرماة، يوم أحد؛ وكانوا خمسين رجلاً ، عبد الله بن جبير.

قال : ووضعهم مكانا ، و قال لهم :

"إن رأيتمونا تخطفنا الطيرُ، فلا تبرحوا من مكانكم هذا، حتى أُرْسِل إليكم، فإن رأيتمونا هَزَمْنا القومَ وأَوْطأناهم، فلا تبرحوا حتى أُرْسِل إليكم".

قال: وسار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن معه .

قال : فهزمهم. قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير :

الغنيمة ، أى قوم الغنيمة ، قد ظهر أصحابكم فماذا تنتظرون ؟..."

(حديث صحيح أخرجه أحمد و البخارى و آخرون).

....

تقدم غزوة أحد أو يوم أحد درساً مهما مستديماً، ينبغى أن يستذكره المسلمون فى كل عصر و مكان ، سواء على المستوى الشخصى أو الصعيد الاجتماعى . فهذه الغزوة جاءت فى انعطافة مهمة فى تاريخ الإسلام و المسلمين ، بعد أن انتصر المسلمون على المشركين فى غزوة بدر، مع التفاوت الكبير بين الطرفين من حيث القوة و العدد و العدة .. وكانت موازين التفوق جميعاً تصبّ فى صالح المشركين و لكن الحق سبحانه و تعالى نصر المسلمين مع ضعفهم و قلتهم و ضآلة إمكاناتهم ... و شهد العام الثانى للهجرة الشريفة انقلاباً عظيماً فى طبيعة القوى التى تتحرك على أرض الجزيرة العربيّة، فقد صار للإسلام و المسلمين وجود مؤثر و فعّال؛ لاتستطيع القوى الأخرى أن تتجاهله ، أو تتغاضى عنه ...ومن ثمّ فقد تحرّكت قريش بوصفها قيادة المشركين ، عقب هزيمتها فى بدر لترد على المسلمين ، وتستعيد مكانتها التى فقدتها، بالعدد الكبير من القتلى و الأسرى ، و الخسائر المادية التى لا يستهان بها...

كان استعداد قريش للمواجهة العسكرية مع المسلمين يمضى على قدم وساق ، فكانت تجيش الجيوش و تعقد التحالفات مع القبائل المجاورة ، لتحقق نصراً ساحقاً يعيد إليها مكانتها المهدرة ، ووجودها المهدد ..و توجهت إلى المدينة المنورة حيث يقيم المسلمون مع نبيّهم – صلى الله عليه و سلم – لتهاجمهم و تقضى عليهم فى عقر دارهم .

بيد أن الأمر بالنسبة لقريش و حلفائها لم يكن سهلاً ، فقد استعدّ المسلمون بقيادة الرسول – صلى الله عليهو سلم – مع أصحابه لسير المعركة ، وكان التخطيط محكماً ، أحرز المسلمون بموجبه نصراً مؤزراً فى بداية المعركة ، التي أوشكت أن تنتهى بنصر ساحق ، لولا أن الأمور أخذت مجرى آخر مؤسفاً و مؤلماً ، و هو ما تشير إليه هذه القصة التى بين أيدينا ، و يتضمنها الحديث الذى رواه البراء بن عازب ؛ رضى الله عنه .

إن الدرس المهم و المستديم الذى تقدمه القصة للمسلمين جيلاً بعد جيل ، يتمثل فى ضرورة الالتزام ، بما تتفق عليه القيادة العسكرية ، مهما كانت الإغراءات أو المرهّبات ، لأن فى هذا الالتزام كسبٌ كبير لجموع الأمة ، و ترك هذا الالتزام خسارة كبرى تصيب الأمة فى مقتل وهى إصابة تتجاوز أفراد الجيش المقاتل إلى عامة الناس و جموعهم .

لقد وضع الرسول- صلى الله عليه و سلم-خطة تحمى ظهر الجيش الإسلامى و هو يواجه جيوش المشركين ، و تتمثل هذه الخطة فى وضع مجموعة من خمسين رجلاً أو مقاتلاً بقيادة عبدالله بن جبير و هم الرماة ، وأوصاهم ألاّ يبرحوا مكانهم ، مهما كانت الظروف ، وحذرهم من مغادرة المكان إلا بعد أن يطلب منهم ذلك، حتى لو رأوا الجيش الإسلامى حقق الانتصار و الظفر . و كان قوله-صلى الله عليه و سلم- قاطعا و حازما وحاسماً بعدم المغادرة حتى لو انهزم المسلمون والتهمت الجوارح أجسادهم الميتة :

"**إن رأيتمونا تخطفنا الطيرُ ، فلا تبرحوا من مكانكم هذا ، حتى أُرْسِل إليكم . فإن رأيتمونا هَزَمْنا القوم و أوطأناهم فلا تبرحوا حتى أُرْسِل إليكم** "

كأنّ الرسول الكريم - صلى الله عليه و سلم- كان يستشف ببصيرته ما يمكن أن يحدث من هذه المجموعة فى حالتى الهزيمة و الانتصار.فكرر قوله-صلى الله عليه وسلم- " **لا تبرحوا** " .."**حتى أرسل إليكم**"، لقد حذر من ترك المكان فى الحالة الأولى وكنى عنها بقوله " رأيتمونا تخطفنا الطير " ، و يقصد بالطير النسور و العقبان وما شابهها من الطيور الجارحة ، و هى عادة تهبط على جثث الموتى لتتغذى بها ويحدث هذا عقب انتهاء القتال ، و انسحاب الجيوش فى تقاليد الحروب القديمة .

كما حذر – صلى الله عليه و سلم – من ترك المكان فى الحالة الأولى و كنى عنها بقوله "**هزمنا القوم و أوطانهم**" أى صاروا تحت أقدامنا جثثاً هامدة بعد قتلهم ..

و تكرار التحذير على هذا النحو كان يفرض على المجموعة ألا تستجيب لأى مؤثر من مؤثرات المعركة سواء كان هزيمة أو انتصاراً ، و لكن المفاجأة أنهم شاهدوا الأسرى و السبايا من المشركين بأيدى المسلمين ، فعرفوا أن الانتصار على المشركين قد تحقق ، و أن هذه علامته ، حيث ظهرت خلاخيل النساء و سيقانهم بعد أن رفعن ثيابهن و هن مشدودات دليلاً على الأسر و الرقّ ، وفقاً لتقاليد هذا الزمان .. و هو ما دفع أصحاب قائد المجموعة عبد الله بن جبير إلى القول أو الهتاف :

" **الغنيمة ..أى قوم الغنيمة ، فقد ظهر أصحابكم فماذا تنتظرون ؟** "

و كانت هذه العبارة بداية المخالفة للالتزام ، مما ترتب عليه أمر جلل، و تطور خطير.

الالتزام .. وغواية الدنيا -٢

حينما هتف أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة ، قد ظهر أصحابكم فماذا تنتظرون ؟ قال لهم عبد الله بن جبير فى حديث البراء بن عازب رضى الله عنه :

"أنسيتم ما قال لكم رسول الله – صلى الله عليه و سلم ؟

فقالوا : إنا و الله لنأتين الناس ؛ فلنصيبن من الغنيمة ، فلما أتوهم ، صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين ، فذاك حين يدعوهم الرسول-صلى الله عليه و سلم- فى أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله – صلى الله عليه و سلم – غير اثنى عشر رجلاً ، فأصابوا منا سبعين ، و كان رسول الله – صلى الله عليه و سلم – و أصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين و مائة – سبعين أسيراً ، و سبعين قتيلاً .

فقال أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟

فنهاهم رسول الله – صلى الله عليه و سلم – أن يجيبوه ، ثم قال :

أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ ثلاث مرات ، ثم قال :

أفى القوم ابن الخطاب ؟ ثلاث مرات ، ثم رجع إلى أصحابه ، فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا . فما ملك عمر نفسه ، فقال :

كذبت يا عدوّ الله . إن الذى أعددت لأحياء كلهم . و قد بقى لك ما يسوؤك .

فقال : يوم بيوم بدر ، و الحروب سجال ...."

....

الغنيمة ، هى ما يكسبه الجيش المنتصر المنهزم فى الحروب القديمة والحديثة معاً وابن اختلفت أنواع الغنيمة و أهميتها و قيمتها ..و هى غواية للنفس البشرية حين ترتبط بالدنيا و تغفل عن الآخرة .

وهى أيضاً اختبار لمدى الالتزام و قوة اليقين لدى المسلم حين يُطلب منه القيام بواجبه و عدم التأثر بوجود الغنيمة أو بحدوث الهزيمة كما فى القصة التى بين أيدينا .

لقد هتف أصحاب عبد الله بن جبير، حين رأوا الأسرى والسبايا : الغنيمة .. وقالوا لأصحابهم : من مجموعة الحماية التى عينها الرسول-صلى الله عليه وسلم- لتحول بين الأعداء وظهر الجيش المسلم : ماذا تنتظرون ؟ وهو تحريض صريح على ترك الموقع العسكرى والانطلاق لجمع الغنائم اعتقاداً أن المعركة قد انتهت، وأن يوم أحد قد انتهى لصالح المسلمين، ولكنهم حين ذهبوا لجمع الغنائم، حدث التحوّل فى الموقف، وتراجع المسلمون، وصرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين !

الهزيمة قاسية، والتراجع مؤلم، والمواجهة ساخنة، والرسول – صلى الله عليه وسلم – ينادى المسلمين المقاتلين كي يثبتوا، ويواجهوا العدّو، ولكن الذين بقوا معه – صلى الله عليه وسلم – كانوا عدداً قليلاً من المجاهدين بلغوا اثنى عشر رجلاً، قاتلوا وثبتوا وصمدوا حتى استعاد المسلمون توازنهم، وانتهت المعركة مخلفة عدداً كبيراً من الإصابات أو القتلى بلغوا سبعين صحابيا مجاهداً ..وهو يعّد عدداً كبيراً بالنسبة لحجم قوة المسلمين، مع أن قريشاً خسرت فى معركة بدر ضعف هذا العدد، حيث أسر المسلمون منهم سبعين رجلاً، وقتلوا سبعين آخرين.

سبب الهزيمة إذاً معروف ومعلوم وساطع، وهو عدم الالتزام بتعليمات الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد حذر المجموعة التى تحمى ظهر الرماة بعدم ترك المكان أو الموقع تحت أى ظرف من الظروف، " لو رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم " **و هذه حالة الهزيمة كما سبقت الإشارة، وأيضا فى حالة الانتصار"فإن رأيتمونا هَزَمْنا القوم و أوطاناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم "**

وقد خالفت المجموعة التعليمات، وتركت الموقع، واستسلمت لغواية جمع الغنائم فكان الترجع وكانت الهزيمة، وعاد القوم بلا غنيمة ولا انتصار!

وتقدم لنا القصة صورة مثيرة، من صور الحرب النفسية، وهذه الحرب تكون أحيانا أشدَّ وأقسى من الحرب المسلحة، لأنها تهزم الروح، وتزعزع اليقين، وتزرع اليأس والإحباط.

لقد خرج أبو سفيان بن حرب ، قائد جيوش المشركين فى بدر و أحد ، ليثأر لهزيمته فى بدر ، بالسؤال عن قادة المسلمين الأساسيّين ، و يبث الذعر و الخوف و الوحشة فى نفوس المسلمين بعد سقوط ضحاياهم الذين بلغوا سبعين صحابيا مجاهداً ، وراح يسأل عن قتلى المسلمين فى ذكاء خبيث يكشف عن نواياه ومشاعره.. فهو لم يسأل عن قتلى عاديين من المسلمين ، و لكنه سأل عن الشخصيات الرئيسية فى شماتة واضحة ، قابلها الرسول – صلى الله عليه و سلم – بحنكة ووعى .

لقد سأل أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟ أى أفى القتلى محمد ؟ و كانت الإجابة هى الصمت ، حيث نهى الرسول – صلى الله عليه و سلم – عن الرد عليه . فسأل أبو سفيان أفى القوم ابن أبى قحافة ، يقصد أبا بكر ؟ و كرر سؤاله ثلاث مرات دون أن يجد إجابة ، ثم كرر السؤال عن عمر بن الخطاب ثلاث مرات أيضا ، و لم يجد رداً من جانب المسلمين . و هو ما أوقعه فى خذلان واضح ، حيث لم يسعد بالردّ الذى كان ينتظره ويتمناه . و هو موت القادة الثلاثة ..و لكنه توهم أن الصمت من جانب المسلمين يعنى موتهم ، و بدت المسألة على كل حال ، كأنها مباراة فى مجال الحرب النفسية : مَنْ يغلبُ من ؟

ثم كان الردّ الصاعق على أبى سفيان من جانب عمر رضى الله عنه ، و ذلك بعد أن أعلن أبو سفيان أن القادة الثلاثة قد قتلوا حيث أراد أن يمنح قومه نصراً إضافيا معنويا ، فوق النصر العسكرى فقد فاجأه عمر بقوله :

" كذبت يا عدوّ الله . إن الذى أعددت لأحياء كلهم ، و قد بقى لك ما يسوؤك ".

وأصيب أبوسفيان بهزيمة نفسية يدل عليها قوله:"يوم بيوم بدر،والحرب سجال.."

الالتزامَ ..وغواية الدنيا – ٣

ردّ أبو سفيان على عمر بقوله : يوم بيوم بدر، والحرب سجال ..ثم يقول فى الحديث الذى رواه البراء بن عازب رضى الله عنه:

"إنكم سترون فى القوم مُثْـلَةً لم آمُربها ولم تَسُؤْنى . ثم أخذ يرتجز: أُعْلُ هبل ، أُعل هُبل .

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " **ألا تجيبوه؟**"

فقالوا : يا رسول الله ما نقول ؟

قال :" قولوا : الله أعلى و أجلّ"

قال : إن لنا عزى ، و لا عزى لكم .

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم : " ألا تجيبوه؟ "

قالوا : يا رسول الله ، ما نقول ؟

قال :" قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم "

....

الحرب النفسية جزء مهم من الحرب العسكرية، وأحيانا تكون الجزء الحاسم فى بعض الحروب ، لأنها تسّهل على القوات المهاجمة هزيمة القوات المدافعة بأقل قدر من الخسائر ، وفى الحروب الحديثة نماذج عديدة لهذه الحرب وتأثيراتها غير المحدودة، وقد استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم – فى غزواته ، ويؤثر عنه قوله– صلى الله عليه وسلم :" **نُصرت بالرعب**"،وهو نصر صنعته الأخبار والمشاهد التى نقلت عن المجاهدين المسلمين وأحوالهم، سواء كانوا فى القتال أو فى الطريق إلى الحرب.

ولم يكن موقف أبى سفيان عقب انتهاء يوم أحد إلا وجها من وجوه الحرب النفسية كما سبقت الإشارة، فقد أراد أن يستعرض قوته وشماتته، ويؤكد للمسلمين أن قريشاً لن تهزم، وأن ما حدث يوم بدر– على أهميته وعظمته من انتصار للمسلمين وهزيمته للمشركين – لن يتكرر مرة أخرى ، وهذا معنى قوله :" يوم بيوم

بدر، والحرب سجال .." ، ومعنى الحرب سجال ، أن من يغلب فى مرة يُغلب فى المرة الأخرى ، وكأنه يقول لقادة المسلمين : لا جدوى من حربكم ضد قريش ، فسوف تنهزمون فى النهاية !!

لم يتوقف أبو سفيان عند هذا الحد من التفاخر والخيلاء ، فضلاً عن الشماتة الفاضحة ، بل أشار إلى سلوك ذميم اتخذه مقاتلوه ضد الشهداء المسلمين ، وهو التمثيل بجثثهم ، أى طعن الشهداء بعد موتهم ، وتمزيق أجسادهم ، والتصرف فيها بطريقة تتنافى مع حرمة الموت ، وهو ما يرفضه الإسلام والفطرة السليمة ، وهناك مثال شهير على التمثيل ، وهو ما جرى " لحمزة بن عبد المطلب" عم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد أن قتله وحشى بن حرب ، فقد مثلت بجثته هند بنت عتبة ، زوجُ أبى سفيان وأخرجت كبده ، ومضغتها ، شفاء لغليلها ، وثأراً لمن قتلهم المسلمون فى بدر ، وفيهم بعض أقاربها ، ولذا لا يخافت أبو سفيان بالإشارة إلى ما فعله قومه ليزيد فى الإهانة والاستخفاف ، وتحطيم نفسية المسلمين ، **فيقول :**

" **إنكم سترون فى القوم مُثلةً لم آمر بها و لم تسؤنى** " ، وكأنه يعلم أن العرب قد تستنكر ما أقدمت عليه قريش من تمثيل بجثث الشهداء . فيشير إلى أنه لم يأمر به وفى الوقت نفسه يوظف هذا الفعل للتأثير النفسى وحربه النفسية على المسلمين . فيقول "**ولم تسؤنى**" ..أى إنه يخلى مسئوليته من الفعل الشنيع ، ولكنه يرحب به إمعاناً فى الكيد والإهانة !

ولم ينس أبو سفيان القضية الأساس فى الصراع بين المسلمين ، وهى قضية التوحيد ، فيرتجز فى سياق حربه النفسية هاتفا باسم الصنم الأشهر الذى تعبده قريش : أعُل هبل ، أعل هبل .

وهذا الصنم واحد من مجموعة أصنام شهيرة وصنعها العرب حول الكعبة منها : اللات والعزى ومناة ، وقد جاء الإسلام ليهدم هذه الأصنام التى كان العرب

يعبدونها من دون الله . بيد أن أبا سفيان ، و هو يستغل لخطة الهزيمة التى نزلت بالمسلمين فى أحد يدعو لهبل بالعلو و الرفعة ، و كأنه يقول : لقد انتصرت الوثنية على الإسلام ، و الشرك على التوحيد ..

و يعلمّنا الرسول -صلى الله عليه و سلم - منهجاً مهماً يعيد القضية إلى مركزها الأساسى ، و هو "**التوحيد**" ، و يطلب من المسلمين أن يردّوا على أبى سفيان الذى هتف لهبل رمز الشرك و الوثنية "**ألا تجيبوه؟**"

و لكن المسلمين لا يعرفون كيف يجيبون ، فيسألونه عن الطريقة "**ماذا نقول؟** " فيعلمهم أن يقولوا " **الله أعلى و أجل** " ، أى إن الله المعبود الحق هو الأعلى والأعظم. وإن هبل و اللات و العزى و غيرها من الأصنام لن تعلو و لن تعّز أبداً، فالحق يعلو ، والباطل يهبط . و الأمر ذاته ينطبق على مفاخرة أبى سفيان بالعزى "**إن لنا عزى ولا عزى لكم**" ، فقد كان رد المسلمين كما علمهم الرسول - صلى الله عليه و سلم -" الله مولانا.ولا مولى لكم "الله ناصر المسلمين و حافظهم مهما كانت المحن و الشدائد.

الصراع بين الحق و الباطل يوجب الالتزام بالأوامر الإلهية ، و طاعة النبى -صلى الله عليه وسلم- و الخضوع لما تتفق عليه الأغلبية أو جموع المسلمين،ومخالفة هذا الالتزام تقود إلى التشرذم و الخلاف و الهزيمة و هو ما حدث فى "يوم أحد" حين خالف بعض المسلمين التعليمات النبوية و بارحوا المكان الذى وضعهم فيه الرسول -صلى الله عليه و سلم- دون إذنه و طمعوا فى الغنائم أو عرض الدنيا، و هو ما تسبب فى هزيمة الجيش الإسلامى - و تمّكن المشركين من إصابة سبعين مسلما ، و شماتة أبى سفيان الصارخة فى المسلمين ، و محاولته استغلال الهزيمة لكسر روحهم المعنوية ، و إثارة الإحباط و اليأس فى نفوسهم ، و لكن الرسول- صلى الله عليه و سلم- علّم المسلمين فى هذه المحنة كيف يواجهون عدوهّم بالإيمان و الصبر.

أسـئـلـة ..و أجـوبـة

أسئلة ..و أجوبة -١

عن أنس – رضى الله عنه – قال : جاء عبد الله بن سلام – رضى الله عنه – إلى رسول الله – صلى الله عليه و سلم – مقدمه إلى المدينة ، فقال :

إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ، ما أول أشراط الساعة ؛ و أول ما يأكل أهل الجنة ؟ و الولد ينزع إلى أبيه و أمه ؟

فقال :"أخبرنى بهن جبريل عليه السلام آنفا"

قال عبد الله : ذلك عدوّ اليهود من الملائكة .

قال :"أما أوّل أشراط الساعة، فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب " .

"و أما أول طعام يأكله أهل الجنة كبد الحوت"

و أما الولد فإذا سبق ماء الرجل نَزَعه ، و إذا سبق ماء المرأة نَزَعتْ"

قال عبد الله : أشهد أن لا إله إلا اللّٰه ، و أشهد أنك رسول اللّٰه .

يا رسول اللّٰه ، إن اليهود قوم بُهْت ، و إن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم بهتونى عندك ...). **(حديث صحيح ؛ أخرجه أحمد و البخارى و آخرون)**

....

كانت علامات النبوة المحمدية معروفة لدى أصحاب الكتب السماوية السابقة على الإسلام ، و كان بعضهم يتمنى أن يكون النبّى المنتظر، أو خاتم الأنبياء منهم ، وشاءت إرادة اللّٰه أن يكون النبى الخاتم من العرب ، من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

و كان بعض اليهود يحرصون قبل إعلان إسلامهم أن يسألوا النبى– صلى اللّٰه عليه و سلم – عدداً من الأسئلة ، يعرفون من إجاباتها دلائل النبوة، و صدق الرسالة، وهذا ما فعله عبد اللّٰه بن سلام رضى اللّٰه عنه – قبل إسلامه، و كان يهوديا ، على علم بطرف من التوراة و ما جاء فيها حول نبى آخر الزمان، أوعلامات النبوة بصفة عامة .

لقد جاء عبد الله بن سلام إلى النبى – صلى الله عليه و سلم – عقب قدومه إلى المدينة ، و أراد أن يعرف مدى بنوته و صدق رسالته ، فقال له إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبىّ . أى إنه قرر كى يؤمن بهذا النبى ؛ أن يختبر؛ أولا وفقا لما تعلمه من أحبار اليهود ، و يطرح عليه ثلاثة أسئلة ، فإن كانت الإجابة عليها كما تعلّم و عرف فهو حقا نبىّ ، و إن جاءت إجاباته غير ذلك ، فهو ليس بنبىّ .

و السؤال الأول أو المسألة الأولى تتعلق بعلامات الساعة أو القيامة ، و الثانى حول أول ما يأكله أهل الجنة ، و الثالث حول انتماء الولد لأبيه و أمه من حيث الشبه أو الطبيعة البشرية أو البيولوجية .

و يبدو أن عبد الله بن سلام ، فوجىء باستعداد الرسول-صلى الله عليه و سلم- للإجابة على هذه الأسئلة، فقد أخبر؛ أن جبريل عليه السلام، أخبر؛ بالإجابة عليها من قبل ، و هذا يعنى أن محمداً – صلى الله عليه و سلم – نبّى يوحى إليه ، أو أنه نبى حقيقى يملك الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التى طرحها ابن سلام . و لذا قال عن جبريل عليه السلام إنه عدوّ اليهود من الملائكة .

السؤال الأول حول علامات الساعة و أول هذه العلامات

" نار تحشرهم من الشرق إلى الغرب " .

و الساعة لا يعلم وقتها إلا الله ، و لكنه أوحى إلى النبى– صلى الله عليه و سلم – بعلاماتها أو أشراطها كى يكون المسلمون على وعى بها ، فيتداركوا ما فاتهم ، و يصلحوا دنياهم بدينهم . قال تعالى :-

"يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا" (سورة الأحزاب : الآية ٦٣)

و قال تعالى :-

"إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ..."

(سورة لقمان من الآية ٣٤)

وقال تعالى :-

"يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا" (سورة النازعات الآيات ٤٢-٤٥)

فالقرآن الكريم سجّل أن أحداً غير الله سبحانه لا يعرف موعدها ، ولكنه تحدث عن أحداثها وقائعها ، خاصة بالنسبة لمن كذبوا بها . و هناك آيات كثيرة تتحدث عن هول الساعة بالنسبة لهؤلاء

"...وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ" (سورة القمر من الآية ٤٦)

"...وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ" (سورة غافر من الآية ٤٦)

و هو ما يتسق مع قول النبى – صلى الله عليه و سلم :"نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب " و لعل ذلك تعبير عن شدة الهول أو الحرارة التى تحدث لإقتراب الشمس يوم القيامة ، و معاناة الناس نتيجة ذلك .

كان السؤال الثانى عن أول طعام يأكله أهل الجنة . و كانت إجابة الرسول – صلى الله عليه و سلم – بأنه الجزء الزائد فى كبد الحوت ، أو حسب قوله "**فزيادة كبد الحوت**" و هذا الجزء المعلق فى آخر الكبد ، يعدّ تكريما لأهل الجنة . و تعبيراً عن عظيم الثواب الذى وُعدوا به فى الدنيا، بسبب طاعتهم لربهم و لنبيه-صلى الله عليه وسلم. و يبدو السؤال الثالث غيرمتجانس مع السؤالين السابقين المتعلقة بالإيمان ، فهذا السؤال يتناول علاقة الولد بوالديه ، و من أيهما يحمل صفاته و ملامحه و خصائصه و لكنه فى سياق أسئلة عبد الله بن سلام ، يبدو متسقاً حيث يمثل آنئذ أمراً لا يعرفه غير نبى يوحى إليه . و قد أجاب عليه الرسول – صلى الله عليه و سلم – وفقا

لما علمّه جبريل ، بأن الولد ينزع إلى أبيه أو أمه أى يشبه أيهما وفقاً لسبق أحدهما الآخر عند اللقاء الحميم .

و لما كانت هذه الإجابات على الأسئلة الثلاثة معروفة لدى عبد الله بن سلام، فقد أعلن على الفور إسلامه ، قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله ، و أشهد أن محمداً رسول الله.

وإسلام ابن سلام ، يمثّل استجابة للحق ، و صدقاً مع النفس ، على العكس من غيره من اليهود الذين لا يستجيبون ولا يصدقون ، بل يغالطون و ينافقون ، و هو ما دفع ابن سلام إلى القول : " **يا رسول الله : إن اليهود قوم بهت ، و إن علموا بإسلامى قبْل أن تسألهم بهتونى عندك .....**"

و هو ما يعنى أن فى أخلاقهم شيئاً يكشفه ما تبقى من القصة أو الحديث .

أسئلة ..وأجوبة - ٢

بعد أنه نطق عبد الله بن سلام بالشهادتين ، عقب سماع إجابات الرسول -صلى الله عليه و سلم- على أسئلته . قال فى الحديث الذى رواه أنس رضى الله عنه:

يا رسول الله : إن اليهود قوم بهت ، و إن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك ، فجاءت اليهود . فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه و سلم :

" **أى رجل فيكم عبدُ الله بن سلام ؟** "

قالوا : خيرنا و ابنُ خيرنا ، و سيدنا و ابن سيدنا ، و أعلمنا .

قال :" **أرأيتم إن أسلم عبدُ الله بن سلام ؟**"

قالوا : أعاذه الله من ذلك ، فخرج إليهم ، فقال :

أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله .

قالوا : شرنا و ابن شرنا ، و انتقصوه .

قال : يا رسول الله هذا ما كنت أخاف .

يا معشر اليهود ، اتقوا الله، فوالله الذى لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنه رسول الله و أنه جاء بالحق ، فقالوا : كذبت . فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه و سلم .

....

تبدو دلالة القصة واضحة من خلال المفارقة التى صنعها سؤال الرسول – صلى الله عليه و سلم ....، و إجابتهم عليه حول إسلام عبد الله بن سلام .

لقد نطق عبد الله بن سلام بالشهادتين و أعلن إسلامه ، بعد أن تأكد من صدق نبوة محمد – صلى الله عليه و سلم – بأسئلته التى عرف إجابتها ، و تأكد من صدقها و صحتها

و بعد أن أسلم ابن سلام ، فإنه نبّه إلى خلّة ذميمة و صفة كريهة فى قوله ، و هى البهتان . و البهتان من الصفات المذمومة فى البشر عامة ، لأنها تعنى الكذب

والافترا ء لذا لا يكون المؤمن كذّاباً ، لأن الكذب أسّ البلاء والفساد والدمار. وقد ذمّه القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ، منها حادثة الإفك . **قال تعالى :**

"إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ" (سورة النور : ١٥-١٦)

والبهتان العظيم هو الافترا ء والكذب العظيم ، ومنها التوجيه إلى خطورة الافترا ء على الغير ، وإلصاق التهم الباطلة به .

قال تعالى :-

"وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا" (سورة النساء الآية ١١٢)

وقد وصف ابن سلام قومه من اليهود ، بأنهم قوم بهت . أى إنهم كذابون مفترون . وكأنّ ابن سلاّم يريد أن يحذرّ النبى – صلى الله عليه وسلم – من سلوك اليهود وأخلاقهم فكذبهم أوافتراؤهم يمكن يسبب متاعب كثيرة للمسلمين ، وهو ما حدث بالفعل . وأراد أن يدللّ على صحة اتهامه لقومه ، بالدليل العملى والبرهان الواقعى ، وطلب منه – صلى الله عليه وسلم – أن يسألهم عن رأيهم فى عبد الله بن سلام نفسه ، دون أن يخبرهم أنه أعلن إسلامه ، ثم ينظر رأيهم ويعلن خبر إسلامه ، وبعدئذ يسمع لرأيهم فيه .

وقد سألهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن رأيهم فى عبد الله بن سلام، قائلاً:

"– أى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟"

فكان ردّهم إيجابيّاً وطيباً حيث وصفوه بالخيرية والسيادة والعلم :

" **خيرنا وابن خيرنا . وسيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا** "

إذاً هذا هو رأى اليهود فى " **عبد الله بن سلام** " و هو يهودى ، و كما رأينا فهو رأى إيجابى و طيب ، و لكن ماذا كان رأيهم عندما طرح عليهم الرسول – صلى الله عليه و سلم – تساؤلاً يقول :

" **أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟**"

و هنا جاء ردّهم كاشفاً عن أعماقهم و أمانيهم ، حيث عدوا إسلامه شرّاً يعيذونه بالله منه " **أعاذه الله من ذلك** " ، وكأنهم ما زالوا يثقون أن ابن سلام لن يسلم !

بيد أن المفاجأة التى كانت تنتظرهم كانت خروج عبد الله بن سلام إليهم ، ليعلن الشهادتين أمامهم ، و حينئذ أثبتوا بالدليل القاطع و البرهان العملى أنهم كما وصفهم " **قوم بهت** " حيث انقلبوا فى لحظة قصيرة من وصفه بالخيرية و السيادة و العلم ، إلى عده شريراً و ابن شرير ، بل استخدموا صيغة تفضيل و مبالغة فى الشرّ، مع الانتفاض منه و الذم له . و هذا ما حذر منه ابن سلام فى أول الأمر عقب إسلامه " **يا رسول الله هذا ما كنت أخاف منه** ".

و لا يلبث ابن سلام أن يكشف حقيقتهم أمام رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ، حيث يخاطبهم بأنهم يعلمون أن محمداً رسول الله الذى جاء بالحق .

والغريب أنهم يواجهونه بالبهتان مع أن موقفهم المتناقض قد فضحهم أمام المسلمين ، فيقولون لابن سلام : " **كذبت**" !

لقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن مواقف اليهود و انحرافاتهم ، باستثناء قلة منهم ، و إذا كان البهتان صناعتهم الشهيرة ، فإن ما وقع منهم فى تعاملهم مع المسلمين فى المدينة ، و غدرهم بالنبى – صلى الله عليه و سلم – و أصحابه ، كان سبباً لقتالهم فى أكثر من غزوة ، و سبباً آخر فى طردهم من المدينة .

إن البهتان لدى اليهود لم يقتصر على المخالفين لهم ، بل امتد إلى الخالق سبحانه حيث وصفوه مثلا بالفقر و الشح .

" وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ..." (سورة المائدة من الآية ٦٤)

"لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا

قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ.."

(سورة آل عمران من الآية١٨١)